

التعاون بين علماء المسلمين

التعاون بين علماء المسلمين

الدكتور بوعمران الشيخ

رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

في الجمهورية الديموقراطية الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلی آلہ وصحابہ ومن اهتدى بهداہ.

قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ([1]).

قد كرم النبي (صلى الله عليه وسلم) العلماء بقوله (العلماء ورثة الأنبياء) إنها منزلة رفيعة وتركة

ثقيلة يسعد بها التقى الذي سلك نهج النبيين المحفوف بالمكاره، المعبد بالشوك إلا أنه يجد فيه راح نفسيه، ومتعة روحية. لقد حمل رساله عظيمة ولابد من تبليغها على الوجه المطلوب ليكون من الفائزين بالأجر العظيم عند الله سبحانه و يكون خير خلف لخير سلف.

إن العالم الديني لا تبرأ ذمته حتى يقوم بالدعوة إلى الله، ناشراً ما عنده من العلم بين الخلق، راسداً لهم وواعظاً، يعلّمهم الكتاب والسنة، لا يخشى في دراستهما لومة لائم ولا سطوة آثم. سلاحه التقوى والصبر حتى تستيقظ همم بعض الفئات، وتسمع ندائها فيلقنها المبادئ الدينية الصحيحة ويقودها إلى الفوز في الدارين.

ولا ينجح العالم الديني في وظيفته، إلا إذا بدأ بنفسه فهذبها وطهرها من الرواسب التي تحجب عنه الحقيقة، وتتركه خائفاً من خوض المعارك، جباناً مسلول اللسان والقلم، كما أنه لا يؤدي مهمته إلا إذا تعاون مع إخوانه العلماء، يمد لهم يد المساعدة داعياً إياهم باسم الإسلام والقرآن والسنة إلى العمل سوياً في اتجاه واحد لإحياء الدين الحنيف واتباع السلف الصالح.

ولا يحصل هذا التقارب بين العلماء، إلا إذا نزعوا عصبياً منهم نزعاً قوياً، سواء منها العصبية العرقية أو المذهبية أو التعمق للرأي، والتحيز لشيخ والتفاخر بالآباء، كل هذه العصبيات فتت وحدة الأمة ومزقت صفوتها وجعلتها أمماً تتخاصم.

إن الوفاق بين العلماء، يستوجب الإخلاص في القول والعمل والتفاني في إعلاء كلمة الله، والجد في إقناع الجماهير بوحدة دينها، ووحدة تاريخها، ومبادئ حضارتها. فلا مجال للاعتراض ولا مجال للجدل فلنكتف بما يوحدنا، ونسن ما يفرقنا أو ما يحيي بعض النعرات ويفادي الصغار، فإذا ابتعدنا عن هذه العصبيات التي تزيد نفور بعضنا من بعض، واتبعنا قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (دعوها فإنها منته) تكون قد

حققنا القاعدة الأساسية للتعاون بين المسلمين.

والبداية في هذا المشروع المبارك، تنطلق كما تصوره الإمام عبدالحميد بن باديس المصلح الجزائري من التعليم فيقول: (لن يصلح المسلمين حتى يصلح علماؤهم... ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم) . ([2]).

وبما أننا نريد لهذه الأمة انطلاقة حضارية فلنذهب بتدريس وتفهيم دستورها القرآن فهماً صحيحاً، كما درسه الأوائل من الصحابة (رضوان الله عليهم) فلنتدبر آياته ونفقه النسا بما جاء فيه من حكمة ووعظة وإعجاز علمي وأنه كتاب حياة وحضارة وسعادة في الدنيا والآخرة. فإذا قام العالم بوظيفته كمعلم على أحسن وجه، فقد أدى رسالته نحو أمته وبلغ للشباب المبادئ الأساسية التي انطلقت منه الدعوة المحمدية، وهي الحرص على تطبيقها في الميدان وترجمتها في السلوك الفردي والجماعي والالتفاف حولها والاحتراز من الزيف والانحراف حتى يتحقق ما تدعو إليه الآية الكريمة (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا) . ([3]).

فالقرآن الكريم يحذرنا من هذه التفرقة التي تترصدنا في كل لحظة إذا لم تتمسك بحبل الله سبحانه، وليس معنى هذا أننا نخشى الاختلاف، فهو يعبر على حيوية المجتمع وحركيته ويدعو إلى التفكير في قضاياها المتعددة وتقديم الحل الناجع لترقية الأمة الإسلامية والتغلب على عقباتها بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وجعلها الميزان الصادق لمعرفة الحق واتباع أهله فلنقتصر إذن أثر السلف الصالح، لقد كانوا يمثلون أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) في العبادات وتأسون به في الأفعال تطبيقاً لما جاء في القرآن الكريم: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ([4]), فهذا أمر بالتمسك بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعبادة الله وحده وإن نعبد الله كما شرع على الوجه الذي شرع.

فلا مغalaة ولا تفريط ولا مزايدة، نحكم ديننا في عقولنا ونخضع ألسنتنا إلى ما تملئه عقولنا: (فالعقل مع النص يعد أداة للفهم معزولة عن التصرف ومع المجملات ميزان للترجح يدخل في حسابه المصلحة والضرورة والزمان والمكان والحال وبميز بين الخير والشر، وبين خير الخيرين وشر الشررين. لذلك على صواب الصحابة على خطأهم في الفهم وفي الاجتهاد) ([5]). كما يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

إن هذا المؤتمر العلمي الهام هنا في طهران حلقة جديدة في سلسلة الجهود المضنية المتواصلة التي تبذل لبناء جسور التقارب والتفاهم بين العلماء والفقهاء وأهل الرأي والفكر، وإقناع المتباعدين بأن الخلاف الفقهي في الفروع لا يمكن أن يكون سبباً للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى التناحر وإثارة الخصومات والأحقاد والعصبيان.

وفي هذا الطريق انعقد بالجزائر في شهر محرم الماضي مؤتمر التفاهم بين المذاهب الإسلامية، وأشرف على رعاية افتتاحه السيد عبد العزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية، وعكف المشاركون فيه على دراسة الوسائل التي تحقق هذا التفاهم المنشود، وأقرروا توصيات هامة في الموضوع سيجد مؤتمركم فيها ما يعزز نتائجه، وقبل ذلك انعقدت في الجزائر مؤتمرات وملتقيات فكرية إسلامية دولية (ابتداء من شوال 1388/ديسمبر 1968) أعدادها بلغت حوالي ثالثين مؤتمراً وملتقى، وكلها انصبت على معالجة هموم المسلمين في دينهم وأخلاقهم، ودعت إلى التعاون فيما يقع عليه الاتفاق، ويغدر بعضاً فيما فيه الاختلاف...

فال ihtilaf ففي أصول الدين، بل كلها تتفق على وحدانية الله وعلى أن محمداً رسول الله، وعلى كل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، فلا يختلف الشيعي عن السنوي في الأخذ بما شاء في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا من أعظم نعم الله على المسلمين لأنهم لا يختلفون في كتاب الله، ولا يختلفون في سنة رسول الله، لكن ملفات الثقافة الإسلامية وما فيها من فكر وفنه وعلم ما تزال تنتظر التجديد وتبني عن المعاصرة في بنائها الفكري ومنهجها العملي.

إن التطور السريع يهز العالم من مختلف جوانبه، ولا يمكن العلماء والفقهاء أن يبقوا جامدين يجتررون ما انتجه السابقون، وإنما يتبعين عليهم أن يجددوا عقولهم ويجددو مناهج تربيتهم وتعليمهم، ويجتهدوا من أجل أن تكون لهم القدرة على مجابهة أعباء الحياة، وتجديد شبابها وإثراء حضارتها، ولابد لهم أن يستعملوا عقولهم، لأنه متى تعطل العقل عن الحركة توقف القلب عن النبض، وخيم القحط والجمود عليها، وتراجع التطور إلى الوراء، واضطربت القيم، وضاعت مقاييس الوعي والإدراك وحرمت الجماعات الإنسانية من نور الهدایة الفكرية وإشعاع الإيمان العقلي.

وإذا كان التطور السريع في الحياة المتتجدة يفرض على علماء الإسلام أن يسايروه بالاجتهاد فإن ذلك لا يعني أنهم يمكنهم أن يشرعوا في كل شيء ويبذلوا كل شيء، وإنما يقومون بذلك في الحدود التي حددها الكتاب والسنة، لأن الإسلام حدد الأحكام وأصول التشريعات، ولم يترك الناس يشرعون لأنفسهم في كل شيء... ولم يقيّدُهم بتشريع معين في كل شيء...

ولكن بين أحكام قضايا لا تستقل العقول بإدراك الخير فيها، ولا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، وفوض إلى أصحاب المصلحة والاجتهاد ما ليس كذلك من القضايا ...

الخلاصة :

ويستخلص مما سبق أنه يتبعين وضع خطة عملية الغرض منها اتخاذ اجراءات دقيقة تكفل لنا النجاح فيما نتفق عليه في هذا المؤتمر المبارك عملاً بما جاء في الآية الكريمة: (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرِي إِنَّمَا أَعْمَلُكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) ([6]), فلا نكتفي بالقول ونهمل النزول إلى الميدان ويمكن تقسيم هذه الخطة إلى واجهتين أساسيتين هما :

- وجهة تتعلق بالعالم الإسلامي.

- وجهة تتعلق بالعالم الغربي.

تلخصها باختصار شديد فيما يأتى:

أولاًً : لابد من تنسيق الأعمال والأنشطة بيننا وتجنب الاختلافات وذلك بتنظيم ندوات دورية ندرس فيها موضوعاً محدداً، وبإصدار مجالات ونشر مقالات وكتب تعبر عن أفكارنا ونستعين في ذلك بالوسائل السمعية البصرية، ولاسيما التلفزة والانترنت قصد توعية الأمة على وجه العموم والشباب على وجه الخصوص. أما ما يتعلق بالخارج فيجب علينا التصدي للحملات المفترضة التي حاولت تشويه الإسلام والإساءة إليه والرد عليها بأدلة دقيقة وبأسلوب حضاري بعيد عن التهريج والجدل والشتم.

وهكذا تسمح لنا هذه الخطة بتوضيح المفاهيم وتصحيح الأخطاء، وتفتح لنا الحوار الثقافي والعلمي بين التيارات الفكرية المختلفة، وتجلب لنا الرأي العام في الداخل والخارج بعون الله تعالى وتوفيقه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوا منش:

([1]). المائدة : 2

([2]). عبد الحميد ابن باطون: (حياته وآثاره)، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر 1311 هـ / 3 ص 217 م. ج 1971

([3]). الشورى: 13.

([4]). الحشر: 7.

([5]). محمد البشير الإبراهيمي: (آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي).

([6]). التوبة: 105.